أثر انتشار اللغة العربية للناطقين بغيرها في أفريقيا بين تحديات الواقع وآفاق المستقبل (تشاد أنموذجاً)

The Impact of the Spread of the Arabic Language to Non-Native Speakers in Africa under the Challenges of Reality and the Aspects of Future - Chad as a Model

Dr. Bakhit Uthman Jaibarar Takal

Associate Professor

University of El Fasher Faculty of Arts

Department of Arabic Language Sudan

Abstract

Arabic language is the oldest language in Africa since very earlier time. In Africa, Arabic is counted as a language of Islam for its significant relation to the Holy Qur'ān and Sunna. Republic of Chad has close connection with Arabic language for being it substantial part in Africa. The East and the South of Africa are linked with each other through Chad. This great place is bridging both sides of the country, for that reason the Chad always remains the quintessential place for business troops and travellers throughout the time. All these troops, foreign travellers and visitors come first to Chad for whatever they want to and then they go anywhere else in all Africa. In spreading the Arabic Language in Africa generally, and Chad particularly, have a very prominent role, thereby this paper intends to read out in details the matter of Arabic language in Africa and Chad specially and analyze the challenging circumstances what Arabic is facing in Chad being a heart of Africa and what is the future of this holy language in this country.

Keywords: *Africa, Chad, Arabic Language, Challenges, Prospects.*

إنَّ اللغة العربية واحدة من أقدم اللغات وأعرقها في أفريقيا، وارتباطها ارتباط متين بالإسلام، فأينما حلَّ الإسلام، حلَّت معه اللغة العربية، وارتباط جمهورية تشاد باللغة العربية، بموقعها الجغرافي يتوسط القارة الأفرقية. وكانت بحكم هذا الموقع معبراً لطرق القوافل التجارية التي تصل شرق القارة بغربها، وكان من جراء ذلك أن شهدت هجرات واسعة وفدت إليها، تلك الهجرات العربية التي وفدت من وادي النيل شرقا وبلاد المغرب شمالاً، حاملة معها الدين الإسلامي واللغة العربية. وهذا البحث الموسوم (أثرانتشار اللغة العربية للناطقين بغيرها في أفريقيا بين تحديات الواقع وآفاق المستقبل تشاد أنموذجا) جلعته في عدة نقاط وخاتمة ونتائج للبحث والتوصيات وقائمة للمصاد والمراجع وأولها.

أولاً: أثر انتشار اللغة العربية في تشاد بين الواقع والمامول

اشتهر سلاطين ودّاي بحب العلم والمعرفة والتمسك بالإسلام فكانت الشريعة الإسلامية دستور السلطنة وقانونها، أمَّا اللغة الرسمية لها في الإدراة والعلاقات الخارجية في اللغة العربية، وكانوا يوفدون البعثات الدراسية إلى الأزهر الشريف والحجاز وسلطنة سنار بالسودان لتلقي علوم الدين واللغة العربية، ولدى عودتهم تؤسس لهم المعاهد الدينية والمدارس القرآنية"[1] وكانت لهذه المملكة علاقة مع مصر ودار فور تتمثل في التجارة والتبادل الثقافي، ولكن هذه العلاقة لم تنعكس على التعليم في ودّاي ولم تنهج التعليم في مصر أو في دار فور إلا في عهد السلطان صابون (1805-1815م) حيث أسس نظاماً تعليمياً إسلاميًا للمملكة بإنشاء مدارس وخلاوى قرآنية، فازدهرت المملكة في التعليم العربي الإسلامي بالمقارنة مع بقية الممالك الإسلامية آنذاك.

وفي هذا الصدد يقول: (إن التعليم في ودّاي كان أكثر تقدما وانتشاراً مما كان عليه في المناطق الأخر بوسط أفريقيا، حيث كان التعليم بالأقاليم التابعة لها أكثر من ثلاثمائة مدرسة ثانوية، وكانت المقررات المطبقة هي مصرية وتشمل على علوم اللغة من نحو وصرف) وفي القرنين 17- 19 وجدت مؤسسات لتعليم التربية التربية الإسلامية في المساجد والماسيك، أو المدرسة القرآنية، وبدأ التعليم الاجباري في مؤسسات التعليم التقليدي ومن أهم المؤسسسات في تلك الفترة كانت الماسيك، والكتاتيب والخلاوى، والتعليم في هذه المؤسسات، بهدف إلى حفظ القرآن الكريم واستيعاب علوم الدين واللغة، وتحولت هذه المؤسسات إى مدارس أهلية بمفهوها الحديث، وظهرت المدرسة

[1] انظر الملحق رقم(8):رسالة مؤرخة من ملك برنو:عمر بن محمد الأمين الكانمي إلي السلطان الشريف ملك دار ودّاي(1835-1858م).

بمدلولها الاجتماعي والحضاري في نقل القيم والتراث الثقافي والأخلاقي من سنة 1943م عندما تم إنشاء (مسجد أم سيقو)، اعتبر هذا المسجد بمثابة أول مدرسة أهلية يتم التدريس فها بشكل حلقات منتظمة ثم تحولت إلى مدرسة عربية أهلية لتعليم علوم الدين بطرق تقليدية، ثم تطورت إلى مدرسة نظامية أهلية سنة 1969م، حيث يتعلم الطالب في هذه المدرسة جميع المناهج التي تدرس في المدارس العامة، وانتعشت مدارس أخرى في أقاليم التابعة لوداي، ورفضت المدارس العربية الأنظمة الفرنسية ومناهجها لأسباب دينية وأخلا قية وحضارية، لقد دفع التطور الاجتماعي والاقتصادي إلى تأسيس مؤسسلت حديثة لتعليم اللغة العربية والفرنسية عام 1970م، وتطورت هذه المدارس تطوراً مطرداً، ففي السنة الدراسية 1996م- 1996م بلغت مدارس ودّاي (21) مدرسة ابتدائية عربية وفرنسية، وعدد تلاميذها ذكوراً وإناثاً (8101)، وبلغ عدد تلاميذ أي المدارس العربية الابتدائية في الفترة نفسها حوالي (5000) تلميذ وتلميذة أي أن نسبتها أكثر من تلاميذ"[1] المدارس المدارس الفرنسية، وتطورت المدارس كمًا ما بين الفترة الماضية والسنة الدراسية 1999-200م، إذ بلغ عددها(243) مدرسة عربية وفرنسية وقفز عدد تلاميذها إلى (44850) تلميذ وتلميذة"[2] والمدارس العربية بلغت (236) ندرسة عربية، ونسبتها أعلى من المدارس الفرنسية، وهي تضم المدارس العربية الثنائية(المزدوجة)، والعربية التجارية والعربية والأهلية، وبلغ عدد تلا ميذ المدار س العربية في مجموعها (21375) تلميذ وتلميذه"[3] ولم يطرأ أي تغيير في مناهجها المستعارة.

أمَّا التعليم العربي في كانم، فقد استطاع كانم تأمين مستقبل مملكتهم بتأسيس مؤسسات تعليمية إسلامية في العصور الوسطى، وكان المسجد من أهم المؤسسات التعليمية في كانم وقد تخرج من هذه المساجد علماء أجلاء، أناروا الطريق أمام مواطنهم، وقاموا بدورهم في إرساء قواعد الحضارة الإسلامية في بلاد كانم، وظهر الماسيك في القرى الصغيرة التي لاتوجد بها. وللماسيك دور مهم في التعليم الإسلامي، واللغة العربية وبعده يأتي دور التاتيب لحفظ القرآن الكريم، وتلاوته وتعليم مبادئ القراءة والكتابة بالإ ضافة إلى معرفة فروض الدين، وانتعشت بعد ذلك مدارس عربية من أشهرها مدرسة كانم التي أسسها الشيخ محمد الني، وأدخلت فيما بعد في مدارسها مناهج تعليمية

[1] تشاد، تقرير وزارة التربية والتعليم العالي، إحصائية المداس 1999-2000م، ص 10.

[2] المرجع السابق، ص 10.

[3] المرجع السابق، ص 12.

نظامية مستعرة من مصر والسودان وليبيا، والمملكة العربية السعودية، ولبنان، ويبلغ عدد مدارسها الابتدائية حسب إحصائيات عام 1999-200م، (171) مدرسة عربية وفرنسية، ومن بينها، (42) مدرسة عربية، وعدد تلاميذها يبلغ (29748) تلميذ وتلميذة، ويبلغ عدد تلاميذ المدارس العربية (6686) وهم أقل نسبة من تلا ميذ المدارس الفرنسية".[1]

وأما التعليم العربي في بوركو وتيبستي، وقد دأبت هذه المنطقة على تعليم أبنائها مبادئ التربية الإسلامية وثقافتها عن طريق التلقين والتقليد والمحاكاة ولم تكن في بادئ الأمر مؤسسات ثابتة ونظامية في مناطقهم وهذا مرده إلى هجراتهم المتكررة إلى مناطق نفوذهم أو خارجها، وجدت مساجد صغيرة في أعالي تيبستي، منطقة "بوو" وكارا وتيديمي تلك المنطق التي لم يزرها ناجتغال، وظهر فقهاء من أبناء هذه المنطقة، أمثال شريف صالح أرديمي، وما لوما بوشرى، وغيرهم من الشيوخ، يعقدون حلقات دراسية، لتعليم الدين الإسلامي، ومبادئه، وكثير من ابناء المنطقة أخذ قسطاً من التعليم في الكفرة وفزان وبرنو ولم تستفد منهم المنطقة استفادة تذكر، لأنهم هاجروا وبقوا في المناطق التي تعلموا فيها، وغالباً ما كان شيوخ كانم وودّاي وليبيا يزرون المنطقة ولكنهم يعملون لمصلحتهم الخاصة، ولم يقوموا بتعليم أهالي المنطقة، وعند مليغتنمون يعودون إلى أدراجهم، ومن المؤسسات الإسلامية التي كانت في هذه المنطقة ما يلي:

المدرسة القرآنية التي أسسها سلطان شهاي بوغرمي، فيبرادي، تقوم هذه المدرسة بتعليم مبادئ الدين الإسلامي، وعقائده وحفظ القرآن، وشرح الحديث وتعليم اللغة العربية، يمكث الطالب في هذه المدرسة ست سنوات وبعدها ينتقل إلى مدارس ليبيا في الداخل لزيادة تأهليه العلمي و الديني".[2]

مدرسة فايا التي أشرف على أدائها الشيخ المهدي السني، وجمعت طلاباً من مختلف قبائل المنطقة وقف هذا الشيخ مجاهداً ضد الفرنسين الذين استولوا على فايا في شهر ديسمبر 1913م وهي معروفة بزاوية عين قلانكا.

مدرسة زاوار لتعليم العلوم الإسلامية، وهي تقع في جبال تيبستي في الشمال الغربي التشادي، وتميزت هذه المدرسة بتعليم القرآن الكريم.

---

[1] المرجع السابق، ص 12.

[2] المرجع السابق،ص 93.

وقضى الاستعمار على هذه المؤسسات لفرض ثقافته ودينه على الأهالي مما جعل من أولياء الأمور يهرعون بأولادهم إلى ليبيا أو النيجر دفاعاً عن حضارتهم، وحفاظاً على هويتهم الإسلامية، ودفاعهم عن تعليم علوم الدين وتحفيظ القرآن الكريم".[1]

وعندما توغل فيها الاستعمار عكف على إز الة المعالم الإسلامية القائمة في المنقطة برمتها لمحاربة هو طرده، ولم تستقر هذه المنطقة حت بعد الاستقلال والسنوات الموالية، ولم تستطع مجارة ماضيها في إعادة تلك المدارس العربية، وبلغ عدد مدرسها حسب إحصائيات 1999م- 2000م"[2] مدرسة رسمية نظامية ولا توجد مدرسة عربية واحدة من بينها و لامزدوجة، ويقدر عدد تلاميذها ب: (3996) تلميذ وتلميذة، تدرس مادة الغة العربية في مدارسها بإهنال شديد، ويتم تعليم العلوم الإسلا مية، وتحفيظ القرآن الكريم في المساجد والخلاوى على نطاق ضيق.

ثانياً: أهمية اللغة العربية في نفوس المسلمين ومزاياها في تشاد

- **أولاً:** أثر اللغة العربية في تشاد
- تعتبر تشاد من الدول الإفريقية ذات الطابع العربي أو الإفريقي الزنجي من حيث الأصالة، وكان هذا الطابع هو الذي يسيطر على البلاد من الناحية الثقافية أو الاجتماعية أواللغوية أوالفكرية، ولايذكر وجود للغة العربية، ولكننا نرى اليوم وجوداً حاضرًا للغة العربية فمن أين لها هذا الوجود؟
- إنَّ أثر اللغة العربية في تشاد يرجع إلى الهجرات العربية الأولى التي دخلت تشاد بحثاً عن المرعى أو من أجل التجارة، إلا أن هذه الهجرات الأولى لم تكن ذات أثر واضح في المجتمع التشادي لأن هناك عدم التعايش بين السكان الأصليين الذين يشتغلون بالزراعة وبين القبائل العربية الرحل، وكان هناك نزاع دائم من أجل المرعى أوالزراعة، وظل الحال هكذا لا أثر واضح يذكر للعربية إلى حين دخول الإسلام في تشاد، وهذه الفترة هي التي لعبت دورًا مهمًا في تاريخ تشاد، حيث ترتب على أثر دخول الإسلام في تشاد، قيام ثلاثة ممالك كان لها الدور الأول والفعَّال في انتشار اللغة العربية لأنها اعتنقت الإسلام وأصبحت تدين به

[1] طرق تدريس اللغة العربية،ص 41.

[2] تقرير وزارة التربية والتعليم العالي،ص، 1.

والتخاطب باللغة العربية وأصبحت اللغة العربية لغة هذه الممالك في دواوينها،([1]) وقد هاجر إلى هذه المنطقة كثير ممن ينطقون باللغة العربية من المسلمين هجرة فردية وجماعية، فمنهم من جاء داعيًا الناس إلى دين الله الحنيف وسوله محمد- صلى الله عليه وسلم - ومنهم من جاء هارباً من العدالة، ومنهم من دخل لاجئًا هاربًا من طالبين له، مثل الأمويين الذين كانوا في الأراضي المصرية، والمغرب الأدنى بخاصة وشمال أفريقية بعامة حين سقطت خلافتهم في أيدي إخوانهم العباسين، من حيث لامنفذ لهم إلى الشرق، ولامخرج لديهم نحو الأندلس إلى أخيهم الحاكم هناك، ولامنجى لهم، ولاملجأ عندهم إلا المنطقة التشادية وباقي بقاع ووادي النيل، وأراضي جنوب الصحراء عموما، وهذا النوع من الهجرة غالباً مانفذوها أفذاذاً. وهناك نوع آخر من الهجرة تتسم بكونها جماعية أوأسرية مايتضح بعد([2]).

- وقد كانت لهذه الهجرات في عهد هذه الممالك الإسلامية، والبعثات الدراسية إلى الأزهر الشريف وجامع الزيتونة وكذلك بعثات الحج الأثر البالغ في انتشار الإسلام وتطور وتقدم اللغة العربية في تشاد، وما أن دخل اللغة العربية كان لها الارتباط العضوي مع الدين الإسلامي وما أن دخل الإسلام إقليمًا إلَّا وكانت اللغة العربية معه، وماكانت للغة العربية أن تصل إلى تشاد لولم تحملها مواكب الدعاة الأوائل وسيلة لنقل أفكارهم وثقافاتهم إلى سكان البلاد، وماكان لها أن تنتشر وتشيع وتستخدم لولم يستجيب سكان البلاد للإسلام ([3]) وبانتشار الإسلام في هذه المناطق انتشر الوعاظ والمرشدون لينشروا الدين الإسلامي ويقومون بتعليم اللغة العربية لغة القرآن الكريم على تأسيس المدارس القرآنية في كل هذه المناطق التابعة للممالك الإسلامية، وصارت اللغة العربية لغة متداولة فيم مختلف انحاء البلاد، وصارت لغة التعامل بين القبائل المختلفة ذات الألسن المختلفة وكذلك لغة دواوين اللمملك واستمر الحال على هذ المنوال وظل الحفاظ على اللغة العربية قائماً بالرغم من اختلاف السلاطين والملوك إلى أن نكبت البلاد بدخول المستعمر الذي حاول أن

[1] الأدب التشاد من خلال شعر الأستاذ عباس عبدالواحد،للأستاذ عبد العزيز أبكر،بحث غير منشورص،5.

[2] أثر اللغة العربية في برامبا،للدكتور،عبد الله أبونظيفة، بحث في الندوة العالمية الدولية، في جامعة المللك فيصل تشاد،اللغة العربية في تشاد الواقع والمستقبل في الفترة من 21- 25 من يناير 2001م ص 31.

[3] الشيخ عبد الحق السنوسي، رسالة ماجستير للباحث،عبد الرحمن حسين بحث غير منشورص3.

يزيل أي وجود للتراث الإسلامي العربي، كأسلوبه الذي اتبع مع سائر البلاد التي وقعت تحت سيطرته وفي قبضة احتلاله مستبدلاً ذلك بثقافته وحضارته ولكن مع ذلك بقيت الغة العربية لغة قوية وشبه قومية يتفاهم ويتعامل بها المواطنون لقضاء حاجاتهم المختلفة.

- وهجرة العرب إلى تشاد هجرات جماعية من شتى قبائل العرب، فلابد أن يتصور أن تكون هجرتهم جماعية، لأنهم أصحاب مال حي أي مواشي، وهم لا يتركون ماشيتهم طواعية، وكما أنهم ليسوا بمستعجلين في الوصول إلى المكان الذي يقصدونه مادامت مواشيهم معهم، ومادامو يجدون لها مرتعاً ومشرباً إلاَّ أن يكون وراءهم طالب، وهذة الهجرة منهم إلى هذه المنطقة أي دارود اي قديمة.
- وقد كان لهذه المملكة اتصال بالعالم الخارجي قديماً الذي يستخدم اللغة العربية في شؤون حياتهم كلًا أو جزءًا قبل الاستعمار الفرنسي لها ولشعوبهم، مثل مصر ولبيا وتونس وتركيا وأخيراً السودان ووادي النيل، بطرق الاتصال التي كانت معروفة، وماستحدثوه من طرق.
- وقال الشيخ محمد يعقوب عبد الواحد: "ولهم في ذلك أسباب كثيرة منها أن المملكة-والسكة في أيديهم كان لها اتصال مباشر بمصر على الأقل كل سنة لها وفود رسمية مع مصر وتركية، كما ورد في التاريخ قبل دخول الاستعمار[1].

ثالثاً: التحديات التي تواجه اللغة العربية في تشاد

الصعوبات والتحديات التي تواجه اللغة العربية في تشاد والدو ل الإفرقية المسلمة، أمثال تشاد وغيرها في المنطقة، إن الدول الإسلامية الإفريقية، التي تمتدد من حزام الصحراء الكبري شمالًا وإلى غابات السفانا جنوبا وإلى المحيط الأطلسي عربا في تاريخها القديم، وقبل الإسلام كانت عبارة عن جماعات بدائة تحكمها أمظمة تقليدي تومن بالأساطير والخرفات وعبادة الأوثان، تاوي إلى الجبال والأكواخ، إلى أن جاء الفتوحات الإسلامية، وتكونت لديهم الممالك الإسلامية التي شرعت ألي تأسيس مؤسسات إسلامية، وتمثلت في المسلجد والزوايل والخلوى القرآنية والكتاتيب الإسلامية، وهي من

[1] أثر اللغة العربية في برامبا، أبو نظيفة ص 31.

غير منازع تعتبر من أقدم المؤسسات التعليمية المنظمة في هذه المنطقة، وانشرت هذا النوع من التعليم في وقت متأخر، إذ يعود تاريخه في القرن الأول الهجري، الموافق السابع الميلادي لتعليم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والفقه الإسلامي، حتى جاء الإستعمار في بدايات القرن التاسع عشر الميلادي وقضى على التعليم العربي الإسلا مي، واللغة العربية قضاءً ومنهجًا لإحلال التعليم الاستعمار ي الفرنسين بمفهومه الاجتماعي الجديد للمدارس في مؤسسات التعليم العربي بمنهاجه التي تعزز التبعية"[1].

وأسست مؤسسات تعليمية نظامية، لطمس الهوية والثقافة الإسلامية، ومحو التعليم العربي ومؤسساته الإسلامية، وإبعاد مناهجها من التعليم الرسمي، وإنشاء مؤسسات تعليمية تبشيرية لأن الدول الاستعمارية لم تفل عن التربية، سلحاً ماضياً في إخضاع الشعوب المستعمرة وضمان ولاء شبابها فتضع لمدارسها المناهج التي تباعد بين المواطنين وتاريخهم الإسلامي والقومي. ولكسب ودهم لجأت الحكومات المحلية مع المستعمر إلى تأسيس نظام مدرسي ثنائ التعليمن وتكون لغة التعليم بإحدى لغات الاستعمار مع اللغة العربية، مع عدم المبالاة لهذه الأخيرة رسمياً، وكرد فعل فقد أنشئت مدارس أهلية عربية إسلامية، بدعم من المنظمات العربية والإسلامية الدولية والخيرية والحكومات العربية.

وأول من تبنى سياسة التعليم الثنائي نمهي فرنسا عندما أسست أول مدرسة عربية فرنسية في المنطقة، وهي مدرسة ثان لوي بالسنغال في عام 1905م، وعلى غرارها نفذت هذه السياسة نفسها في كل من مالي والنيجر وبور كينا فاسو، والكمرون، ونيجريا وتشاد وغيرها، ومن هذا السرد واقع اللغة في تشا د والتحديات المعاصرة وفيما يلي بعض النقاط التي تمثل قاسما مشتركا لوضعية اللغة العربية في تشاد وغيرها من البلدان الإفريقية كما يراها الباحثون.

1- ثقافة خاج السياق المحلي تتميز الثقافة العربية في تشاد المعاصرة بأنها خاج السياق المحلي فلا يوجد للعربية وجود ثقافي مستقل في المحافل الوطنية في تشاد.
2- إغفال رسمي للتعليم العربي.
3- الفقر والمجاعة والأمراض.
4- محاربة مميتة للعقيدة والحضارو والثقافة والمؤسسات الإسلامية.

[1] التعليم العالي والتنمية في شمال أفريقيا، ورقة نقاش في الوكز الأفريقي للبحث والتدريب، طرابلس ليبيا 2003.

5- انعدام نظام تربوي واضح ينطلق منه التعليم العربي واللغة العربية.
6- الافتقار إلى كواد متخصصة في مجال التربية.
7- انعدام منهج التعليم العربي الذي يحمل تراث وقيم الشعوب الإفريقية المسلمة.
8- ضعف مؤسسات التعليم العربي الأهلي والرسمي من حيث المدخلات والعمليات والمخرجات.
9- إهمال وتهميش دور المثقفين باللغة العربية.
10- عدم قدرة المؤسسات التعليمة العربية على تلبية حاجات ومطالب أفرادها وحاجة تلك المؤسسات إلى نظام تربوي محدد وواضح.
11- عدم تشجيع الدول العربية للحكونات الإفريقية بتطوير التعليم العربي المعتمد على نظام وفلسفة تربوية من الأهداف العامة في تلك الدول.
12- المناهج العربية المستخدمة هي وافدة من البلدان المجاورة مثل السودان ومصر ولبنان، ومضطربة لافتقارها إلى المايير العلمية، وافتقار الوسائل التعلمية على السبورة والكتاب والالقاء.

رابعاً: دور الأدب العربي في نشر اللغة العربية

الشاعر الأول: عيسى عبد الله: يعتبر هذا الشاعر في وجدان التشادين، شاعرهم الأول، وذلك بمثابة شوقي، في مصر والعالم الإسلامي، وهو يقلد محمد إقبال في المناسبات الدينية، والوطنية.

القصيدة الأولى: يا حما ة العربية للشاعر عيسى عبد الله.

جاءك كلُّ ضحـية سائلاً بعد تحـيّة
كيف والعزمة حيّة في حماة العربـية
كيف تقصى كبيّة ؟
أجدر المؤ تمـرات بالـرّؤى والتّمـراتِ
عنوةً منهمـراتِ إذ يخوض الغمراتِ
جا معاً للقـدراتِ شُـداةٍ وسُـراةِ
كا لكُنوزِ الذهبيـة لانعـتاق العربيـة
لم تصر قطُّ قوية وحـدةٌ دون هويّـة
فأدعموها بـرويّة لابدعوى الأبويـة

في تشا د القروية والمرا عي البدويـــة
ابعثوا الروّح أبية أصِلوا للعربيـــــة
ليس تغني الكلماتُ أنتمُ اليوم حمـــاة
إن عـرتها أزمـــات هدد الكل ممـــاتُ
لايداريه صـــماتُ فالعرى متهمـــــاتُ
والعدوُّ العصبية في سبيل العربيـــة
وحدةُ الدارِ مهمة من ترى يشطر أمه؟
إن تصدت لملـمة تُنقذِ الوحدة أمـــة
وحدةُ دون مذمـة عهدها أوثق ذمـــة
إنها بعد صبـــية تحت عين العربيـة

أنجمينا في 2000/10/20م.

نظمت هذه القصيدة في إطا ر التعبئة للمؤ تمر الجامع حول وضع اللغة في تشاد"[1].

والقصيدة الثانية:

للمفتدى أبداً طالت مثل ذراع الأخطبوطِ يد حـتى شُللْـتَ، وعـزَّ المُـــدُّ والمـددُ
تلك العجا ف من الأعـوام كـم ســحقتْ من مهجـةٍ، ومشـت بالكي تتئـــدُ
ســامـت ربوعـك تجـريـداً و مـخمـصـة ماذا، بـربك أبقـت منك يـا بـــلد
جـاتـك بالعـلق الغـدار فـــانغرسـت يأجوج تقصد إذ مأجـــــوج تـزدرد
مسـتعمرون أتـوا من كـل نـــاحـيةٍ كي يركعوك وأنت الصـــامد الصمد
يـــاليتهم رحـلوا حـين انتـفضـت ولـم تـأخذ أمـاكنهم بشـــــمركة جُدَدُ
لا حـــبذا فـــئةُ الأخـلافِ مـن فـــئة تهوى الغلول، سداها الغِلُّ والحسـد
عُـمْيُ القلـوبِ كمـن للـشر يدفـــعهم حكـم الغـزيزة أو مـا تفـرز الغـدد
من بعض ماسرقوا أقواتُ عائـلـــــهم والعيشُ فيثقة منبعض مـــا وأدوا
أعـيا مـوائدهـــم إنـتاج بـيدرنـــا لـكـن مطـعمنا الإحـراجُ والكـــبد
صرنا ضيوف ثراما نـشتـه كسـرا من خبزنا، وهم العادون قد جحـدوا

[1] - حذو ماقالت حذا م،شعر، عيسى عبد الله، مجلس الثقافة العا م،طرابلس،ليبيا،ص،274.

جوعى نعلل بالآتي وقد بطنوا ... بئس المخدر للمستضعفين غدُ
لكن الجبل الموهى قرنهمو ... لما نطقت ولم يمح الصدى أحد
فاستنهضت لبنيك الذكريات رؤى ... ماضيك يملؤه الإيمان والجلد
ماضٍ مضت عزمات منك فيه، فما ... لانت قناتك أو أهاك مضطهد
لما هديت تهادى الأمس منبعثاً ... طوبى لمن سلكوا المنهاج حين هدوا
غربتُ عنك زمانًا لم يكد يرني ... إلا حليف عناء يومه الأبد
واليوم يرجعني شوقي فها أناذا ... مستدركًا عمري مسترجعاً أفدُ
بعد الغياب أنا آت وبي مقتي ... بأجوبتي آت و مجتهد
آت إليك كما يأتي الخريف وبي ... شوقو ووعد عطا عطاءٍ مثلما يعد
فالعود أحمد والآمال ليس تهي ... مادمت مشتعل الوجدان تتقد
ترنو إلى زمن يدني مطامحنا ... لا عيش يهنأ والأحلام تبتعد
لهفي عليك وأنت المفتدى أبداً ... إذ يعتريك علينا الهم والكمد
بدونك إلا وهم باصرة ... نحن الظلال وأنت الروح والجسد
أنت المسجد للانسان منطلقاً ... والمنجب النجباء الغر إذ تلد
تبقى وأهلك لاتلقى ببارقكم ... مهما جرى وجفاء يذهب الزبد
أسُّ اليقين بأن الله ناصرنا ... رأسٍ على سنن لله تضطرد

أنجمينا، في1996/3/3م

(وهي أول قصيدة ينظمها الشاعر عقب عودته إلى تشاد في نهاية اغتراب دام أربعة عشر عاما)

الشاعر الثاني) عبد القادر محمدابه: حياة وإبداعاً:

شاعر تشادي يغلب على شعره طابع التجديد ولد في مدينة أنجمينا سنة 1965م، ونشأ الشاعر يتيماً، ثم أدخل الشاعر بالخلوة "الكتاب" لقراءة القرآن الكريم، ثم التحق بالمدرسة العربية بمدرسة الجامع الكبير سنة 1972م، ونال الشهادة الابتدائية ثم حصل على شهادة الإعدادية سنة 1982م، ثم نال الشهادة العربية من القسم الأدبي، وأخيرًا التحق بجامعة أنجمينا ودرس في قسم اللغة العربية، ونال شهادة الليسانس سنة 1990م ويعمل حاليًا في مجال تدريس اللغة العربية؛ وحيث إن الشاعر نشأ في العاصمة ولم يبرحها إلى غيرها من المدن، إلا أن العاصمة – كغيرها من

عواصم الدول الإفريقية- تعج بالمتناقضات من حيث الأيديولوجيات والعادات والعصبيات واللهجات، إضافة إلى الحروب الأهلية الآكلة للأخضر واليابس، وذاقت تشاد ذلك، وعانت منه في حربها الأهلية عام 1980م، لذلك فإن شاعرنا لم يشعر بالرضا ولا عرف الراحة والسعادة، فراح يفرغ طاقاته في كتابة الشعر، ولا غرو أن نجد شعره يتم بالقلق والتمرد والانفعال، وهذه نتيجة طبيعية لأثر البيئة وما رآه وما عاناه من متغيرات وحروب أهلية ألهبت مشاعره، فاتسم شعره بالاتجاه التجديدي الثائر، وشعره لم يجمع حتى الآن في ديوان، على الرغم من الشاعر أرتضى أن يسميها "إعصار في فؤاد" وحقًا أجاد الشاعر في هذه التسمية، لاتفاقها التام مع مضمون وشكل نتاجه الشعري.

عوامل متضافرة ساعدت على الاتجاه التجديدي التشادي:

إن حياة رواد التجديد في الشعر العربي التشادي، بما فيها من آمال وآلام، وأفراح وأتراح، وانتصارات وانكسارات، ساعدت بشكل قوي على تشكيل شعرهم تشكيلًا تجديديًا، لم تعرفه الساحة التشادية من قبل. فعلى الرغم من الشبه القوي بين حيواتهم المختلفة بشكل عام، وعلى الرغم من التفاوت الجلي بين مراحل حياتهم، إلا أنهم- على الرغم من كل ذلك- كانوا متفقين على ضرورة التجديد الشعري، فساروا في دروب التجديد، على هدى من إبداع الشعراء العرب المجددين.

وبنظرة عميقة مكللة بعشق الإبداع، ولكي أكون أكثر دقة أقول: إن التجديد نتيجة طبيعة لعاملين: أولهما: داخلين والآخر: خارجي، امتزجا أحدهما في الآخر، فشكلا ظاهرة جديدة جديرة بالبحث والدراسة والتأصيل.

وأعني بالعامل الداخلي: ما كان في حياة الشاعر التشادي وهو في داخل وطنه، وما في وطنه الذي ينتمي إليه الشاعر. والعامل الخارجي: ما كان عليه الشاعر خارج حدود وطنه. وعندما نلقى نظرة سريعة على رائد التجديد "عيسى عبدالله" وتسألني لماذا كان هو رائد التجديد؟ أقول إنه يمثل ظاهرة إبداعية فريدة من نوعها، ومرحلة فنية كتبت شعرا تجديدياً بكل ما تعنيه كلمة جديد، إضافة إلى أن الجيل الصاعد من المجددين بعده، هم بمثابة إفراز طبيعي لعيسى عبد الله ولنتاجه، فساروا على دربه واقتفوا أثره.

وقد قال محمد فوزي [1] إن رواد التقليد كعباس عبدالواحد، وحسب الله فضل الله، وعمر الفال بدءوا من حيث انتهى عبدالحق السنوسي[2]، فكانوا ثلة من الأولين، وأن عيسى بشعره وثقافته وثوريته وحياته كان رائداً بلا منازع للشعر التجديدي في جمهورية تشاد.

ننتقل الآن إلى ذكر أهم العوامل التي شكلت شعر رواد التجديد، فجعلته جديدًا شكلًا ومضمونًا:

1- الوطن وجماله، وعشق الحرية:

نشأ عيسى عبد الله نشأة ريفية بدوية، فكان للمكان بجماله وبساطته وسحره أكبر الأثر في تفجير شاعريته المشعة بالجمال، والعاشق لكل جميل. لذلك كتب قصيدته (للمفتدى أبدًا) على المتقارب يقول:

وريف وريف ونور طريف ومرعى عطوف وصيد يجول
وقندول عيش تنـــادى إذ ذاقته: لا يمل الملـــيل

وتغنى شاعرنا بجمال بلده في قصيدته "لكرفي" على المتقارب.

فقال:

بلادي جلال وسحر حـــلال وماء زلال وطرف كحـــيل
هي الرمز عندي ومعنى المعاني غنى في سخاء وفقر نبـــيل

والشاعر عبدالواحد السنوسي، ولعب بحب وطنه، وأقسم على ذلك في قصيدته "بلدي" فيقول:

بلـــدي أقسمـت بـعـزتـها ألا أنـساهـــا كلمات نقشت في شفتي وبقلب يكمن معـناه

ثم تغنى بجمال بلده في قوله من القصيدة ذاتها فيقول:

السهل الأخضر ينسجم بصفاء مياه شواطيك وجبال تبستي شامخة والشاري رق يـنـاجيك

وأنها بلده نبع إلهامه يقول:

بلدي يا بسمة أيامي يا رمز الحب بأحلامي
بلدي يا بلسم آلامـي يا كل منابع إلهـامي

والشاعر عبدالقادر يسترفد الجمال من طبيعة وطنه الفتانة، فيغني شعراً في قصيدته "رسالة من الجبهة" فيقول:

ســلامـي إنـه حـــبي جـــبـالي إنـهـا حـــبي
وصحراي بلون الذهب مـفروشة تـعـانـــق جـبـتي دومـــاً

[1] محمد فوزي مصطفى، الاتجاه الإسلامي في الشعر التشادي دراسة تحليلية نقدية، ط1، العالمية، 2002، ص 75.
[2] المرجع السابق، ص 342.

وكان للانخراط في العمل السياسي والعسكري أثرهما القوي في ظهور التجديد عند هؤلاء الرواد، وخاصة عند عيسى عبدالله، وعبدالواحد السنوسي. إذ نجد أن أكثر شعر عيسى غناء للحرية بمفهومها الواسع، وليس في إطارها الضيق، بمعنى حرية الفرد، وحرية المجتمع، وحرية الوطن. وعندما اذكر الحرية فلا ينبغي أن نظن أنها التحرر. فالتحرر فوضى وهرج ومرج ولا أخلاق، أما الحرية فهي التزام وتقيد بضوابط الأخلاق الكريمة.

وعيسى عبد الله منذ نعومة أظفاره يعشق السياسة؛ لأجل التحرير والإصلاح. وليس لأجل التكبيل والفساد. ولذلك انخرط في صفوف ثورة "فرولينا"[1]، وترك دراسته الجامعية؛ رغبة في أن تشرق شمس الحرية على تراب وطنه. فيقول في قصيدة: حزيران ست وستين"[2]:

فكم بالبطولات كانت عقود السنا حـــــــافلة

وكـــم تضحيات لتذليـل درب تـــــــــــرامي

مدى الطرف يعلو! وكم خطوة جندلت مستهاما!

وعندما انشق بعض رجال ثورة فرولينا، صرخ فيهم عيسى بصوت مرتفع في قصيدته "سمسرة" فقال:

الثورة تضحيات شعبنا العربي

الثورة حق وليد جرحه ما برى

الـثـورة دم شهيد الله يأجـــره

والشاعر عبدالواحد السنوسي، يفيض شعره عذوبة وجيشان تجاه وطنه، لكنه يحزن لما في وطنه من فساد، وما أصابه من قروح وتكميم للأفواه. فيقول من قصيدته "على كنبة":

وطـــني.. وطـــني.. أنـا وطـني عـــجـــــاب

وطن إذا حدثتكم عنه بألف قصـيدة.. قصـيدة

ما كان لي فصل الخطاب..وطني أنا.. وطني عجاب

كذلك تفجرت ينابيع التجديد عند عبد القادر أبه؛ لعشقه وطنه، ولكل نسمة من نسمات الحرية، وتجلى في قصيدته "ملاك" حيث ينقد الحكم الدكتاتوري، الذي كمم الأفواه، فالقصيدة تمرد من أجل الحريات، ومن أبياتها قوله:

---

[1] ثورة فرولينا: وتسمى جبهة التحرير الوطني التشادي أسست عام 1966 وهي حركة تحريرية لمقاومة النظام القائم وانخرط إليها معظم الشباب التشادي وتغنوا بها وبأهدافها الوطنية.

[2] عيسى عبد الله: ديوان حذوما قالت حذام، ص 106.

منعتم ذلك الطير أغـاريـد وألحـانا
شربتم دمنا المسفوح.. بعتم كل قتلانا
بحرق الظلم أجمعه ونبني الصرح قرآنا

2- الغربة:

الغربة بنوعيها "الداخلية والخارجية" من العوامل المهمة التي أثرت في شاعرية رواد التجديد، فرقت مشاعرهم، والتهبت عواطفهم، وحنوا إلى أوطانهم. فإذا بالغربة تلهمهم الكتابة والإبداع والتجديد، وخاصة – ونحن نعلم- أنهم ارتحلوا إما للعلم، إما للرزق وإما لأمن. فكان منهم من استرعى انتباهه وأيقظ مشاعره روعة وجمال بلاد الغربة التي عاش فيها، فكتب لها شعراً يفيض بالجمال. مثلما كتب عيسى عبدالله- الذي قضى خمس عشر سنة خارج وطنه، قضاها بصبر جميل في السودان وفي ليبيا. ففي ليبيا – على سبيل المثال- كتب قصيدته "الأبهى في مناقب سبها" على البحر الوافر، وعلى نظام المقطوعات، وكل مقطوعة من خمسة أبيات تختلف قوافيها، لكنها بقافية موحدة، ومن أبياتها قوله:

تجول في جنان الله قمم سـبها فمهما جلت فيها لن ترى أبـهى
ولا أزهى على الإطلاق من سبها فسبها ملتقى الصحراء بالأحلام

ويحن عبدالواحد السنوسي إلى وطنه، فتجيش مشاعره بقصيدته "في بحر الغربة" على الوافر، ويتعمق الشاعر في الرمزية، ويرمز إلى وطنه باسم "كُبري وسمرا"، فيشخص وطنه في صورة جميلة، كأنه امرأة حسناء يناجيها بكل إشراق وتفاؤل، وأمل يقول:

مساء الخير يا كبري مساء الخير يا سمرا
مساء الحب والذكرى
أرى عينيك يا كبرى على بعد المدى عبري
لماذا الدمع يا كبري لماذا الحزن يا سمرا
أما سنعود يا كبري بلى سنعود يا سمرا

وحق المقلة العبرى

ولكن عبدالواحد لم يفقد الأمل لوطنه، فكتب قصيدة أخرى بعنوان "عودة الطفل" فيها الحنين إلى الوطن، وقد رمز لوطنه تشاد بالأم فيقول:

هل أنا أماه قد عدت وقد طال غيابي حاملاً قلبي على كفي جواباً في غيابي

فما أجمل الغربة عندما تفجر ملكة الإبداع، فتؤتي ثمارها في نتاج جديد بطعم جديد وشكل جديد لم نعهده من قبل في رياض الشعر التشادي.

والشاعر عبدالقادر أبه، على الرغم من أنه لم يذق ألم الغربة المكانية، فلم يبرح وطنه تشاد، إلا أنه كان يشعر بالغربة الزمانية، إذ كان متمرداً على ما في وطنه من فساد وانحراف، لذلك ظهرت في أشعاره نزعة الحزن والأسى والاكتئاب على غرار الرومانسيين. فيقول في قصيدته "جرارنا"[1]:

جرارنا

مملوءة بالحقد والغباء

معروفة بالرياء والمكاء

خدودها

شوارع الدموع والدماء

فالشاعر يصب حمم غضبه على ظاهرة السفور التي تفشت في سكان العاصمة بشكل مشين.

3- الأحداث الكبرى في العالم الإسلامي، واستشراف التاريخ:

إن شعراء التجديد في تشادهم أحفاد شهداء مذبحة الكبكب، فتأثروا تأثرًا كبيرًا بما حدث لأجدادهم العلماء من قتل على أيدي الفرنسيين، فكانت أصداء هذه المذبحة من أهم العوامل التي فجرت عندهم روح التغيير والتجديد في شتى مناحي الحياة، وخاصة الشعر وذلك بنقله من طور المنظومات التعليمية والنبوية إلى مرحلة التجديد، بكل ما يعنيه المصطلح.

وأود في هذه السطور إلقاء الضوء على مذبحة الكبكب؛ ليعرفها كل عربي واع، ويأخذ منها العبر والدروس[2]. إن هذه المذبحة الشهيرة، من فصول تاريخ الجهاد الأفريقي في العصر الحديث ضد المستعمر الفرنسي، فأحداثها وقعت سنة 1917م، في إقليم "وداي" المعروف الآن باسم "أبشه". وهي مدينة تقع شرق تشاد، متاخمة للحدود الغربية مع السودان مع دار فور وتعد أبشه البوابة الشرقية لشرق أفريقيا، وكانت وما تزال تذخر بمصابيح الهدى من رجال الدين الأتقياء والمفكرين والشعراء. إضافة إلى ما في باطن أرضها من ثروات هائلة "اليورانيوم، والبترول، والبوكسايت،" ولما

---

[1] جرارنا: جمع جرة وهي آنية تصنع من الطين لحفظ الماء وتبريده، ووظفها الشاعر كرمز للمرأة لهشاشتها وسهولة كسرها.

[2] محمد صالح أيوب: الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبدالحق السنوسي في دار وداي، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان، السودان، 1998، ص185، عبدالرحمن الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، ط1، الهيئة المصرية للكتاب ص211.

استشعر المستعمر الفرنسي الخبيث الخطر الذي سيلحق به من هذه المدينة العالمة المجاهدة، قام بجمع العلماء والأئمة، فذبح أربعمائة منهم. فصعدت أرواحهم إلى بارئها في جنات النعيم، ولكن أولادهم وأحفادهم حملوا راية الجهاد من بعدهم إلى أن تطهرت تشاد من براثن المستعمر الفرنسي سنة 1960م. فالمذبح نقطة سوداء في تاريخ فرنسا الصليبية، وصفحة بيضاء من صفحات الجهاد الإسلامي في تشاد.

ولقد عاش رواد التجديد تحت لهيب الأحداث الكبرى، التي هزت العالم الإسلامي وما زالت من غزو فكري، واستعمار صليبي، فكان رواد التجديد خير شهود على هذا العصر الأنكد، فكتبوا وأبدعوا، وولوا بشعرهم نحو انفتاح الكلمة الإبداعية، واتساع الصورة الشعرية بخيال واسع متشعب، وانسياب الإيقاعات، ليجدوا متنفساً بعد أن ضاقت صدورهم بما يحدث حولهم من أحوال تشيب منها الرؤوس. وليس أدل على ذلك من عناوين دواوينهم فاختار عبدالقادر لديوانه اسم "إعصار في فؤاد" ولعبدالواحد السنوسي "رفراف القلب" ولعيسى "حذو ما قالت حذام".

ونذكر – على سبيل المثال- قضية فلسطين، وهي القضية الأولى في العالم الإسلامي كله كتب لها عبدالقادر من ذلك قصيدته "لك الله يا قدس":

أين الجهابذ في الإسلام هل قبروا؟ أم ابتلوا فجأة لكنهم قبروا

صبراً يكاد يكون اليأس شيمته فأي صبر لنا والهود انتصروا

يافا وحيفا وبيت المقدس مقدسنا قد دنسته بقايا الهود والكفر

عاث اليهود فسادا في مواطننا وقتلوا قومنا صبرًا وقد قهروا

ويزداد الشاعر تعلقاً بفلسطين، ويعتصر فؤاده ألماً وحزناً على ما حدث لهذه البقعة المباركة فكتب لها قصيدته بعنوان "الطوطم" وهذا العنوان برمز أسطوري للتفاؤل عند بعض الأفارقة فيقول:

فلسطين

يا نصلاً تغلغل في فؤادي وانكسر

يا حجراً يلهب القلب ساح وانصهر

ومن روائع عبدالقادر قصيدته "الدين برئ" وفيها استشرف التاريخ الإسلامي، ويتوجه بخطابه فيها إلى المسلمين والأمريكيين، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وتتجلى عاطفة الشاعر الصادقة، وتجديده المبدع كقوله في مطلعها:

يا أخا الإسلام غلا صبري لا تعط الحجة للكـفر
لا تدن الذئب من المرعى وتعرض قومي للخـطر

ويعيش عبدالواحد السنوسي مأساة الشعب العراقي، أثناء الحصار الشيطاني الذي فرضه النظام الإمبريالي والصليبي على هذا البلد العربي المسلم، وظل شعب العراق البطل صابراً صامداً، إلا أنها كانت مأساة أعقبتها مآسي كبرى، فكتب عبدالواحد قصيدته "حيوا العراق" صور فيها عظمة هذا الشعب الصامد الصابر من خلال لغة شعرية جديدة قوية بإيقاعات متتالية متآزرة تحتوي على استدعاء الشخصيات الدينية، ومن ذلك قوله:

حيوا العراق..حيوا الحضارة والعراقة.. تسموان إلى مدى السبع الطباق
حيوا الصمود بوجه ما ليس يطاق.. حيوا التصـبر
رغم وطء الجمر رغم الاحتراق.. حـيـوا العـــراق

حيوا العراق.. حـيـوا بلاد الرافـدين وملـجـأ السبطين وأبي السـبـطـين

أما عيسى عبد الله الشاعر الثوري المخضرم، فقد عاش قضايا المسلمين في كل مكان بكل بفكره ووجدانه، فطاف بشاعريته ليعيش مع المسلمين في "إرتريا" أيام جهادهم ضد الأثيوبيين، فكتب قصيدته "يا أسمرا" سنة 1974م، بنظام شعر التفعيلة، ليحي الثوار على أمل بزوغ النصر القريب:

يـا أسمـرا
يا قـريـة جميلة يا أجمل القـرى
يا مهبط الربيع بل يا جنة الذرى
إليك يا جميلتي أقدم السلام من بقعة شقيقة أسر السلام

ثم يستشرف تاريخ الحبشة، وما كان عليه الملك "النجاشي" من خلق عظيم إلا أن خلفه خلفهم الطغيان والفساد:

ليت النجاشي القديم آب
مأمن المهاجرين خشية العذاب
وأطفأ الحريق وعالج الحروق

لكنه-واحسرتاه!! في غياب
وغاب حكم العقل عن خلفٍ له يسوق
أجمل القرى إلى الخراب

وعاش عيسى مع أم القضايا الإسلامية "فلسطين" فكتب عنها قصيدته "أي صَحْوِ" وينكر على اليهود أنهم شعب الله المختار، فهم شعب الله الملعون، وشرذمة صهيونية[1] فيقول:

أدعياء في بني يعقوب جـــاءوا من شتاتٍ لانغراس واحــتزاز
هل لإسرائيل من نسل رمتهـم في فجاج الأرض حمى الاكتنـاز
لا.. ولا صنـاع صهيونية مـــن قاتلي الأطفال قصد الاحتراز!

أظن أن رواد التجديد التشاديين استجابوا لكل دعوات التجديد بمدارسها المتعددة والمختلفة في العالم العربي منذ ظهور مدرسة الديوان حتى مدرسة الشعر الحر، فأضحت القصيدة التشادية عند المجددين، تطرح أفكاراً جديدة، وموضوعات جديدة، في شكل جديد من خلال تشكيل جمالي جديد لم يعهده الشعر التشادي من قبل على نحو ما سنوضح في القسم التطبيقي، وينبغي الإشارة إلى أن نشأة الرواد لعبت دوراً مهماً في بزوغ تجديدهم الشعري، فيذكر لي عيسى عبدالله، أن ثمة عدة عوامل ساعدت على تكوينه الشعري وميله للتجديد منذ نعومة أظفارها منها: "المحفوظات المدرسية، والمكتبات، وعشقه للغة العربية، وحضوره الحفلات والمناسبات الرسمية، والجمعيات الأدبية، وثورة فرولينا إضافة إلى بارودي تشاد عبدالحق السنوسي"، وحيث إن عيسى استفتح حياته بالدراسة في السودان، مما لا شك فيه أنه تلقى ثقافات مختلفة كالعربية الفصيحة والإنجليزية الأصيلة إضافة إلى اللغة الفرنسية اللغة الأولى مع العربية في تشاد، كل ذلك جعله يعيش مع أحداث عصره، ويتابع ما يموج فيه من آمال وآلام، فاستجاب لها ثورياً وعبر عنها شعرياً وشق طريقه التجديدي بكل إبداع وابتكار، وليس أدل على ذلك من غزارة نتاجه الشعري، كمًا وكيفًا بما يحتوي من تعدد في الموضوعات، والأشكال والموسيقى الشعرية، فعن عشقه للغة العربية، ودعوته إلى الاتحاد من خلال الالتفاف حول اللغة العربية- مما يدل كذلك على نزعته الإسلامية- كتب قصيدته "يا حماة العربية"، ومن أبياتها:

[1] عيسى عبد الله، حذو ما قالت حذام، ص64.

لم تصر- قط- قوية وحدة دون هويـــة
فـادعـمـوهـا بـرويـة لا بدعوى الأبويـــة
في تـشـاد الـقرويـــة والمراعي البدويـــة
وابعثوا الروح الأبية أصّلوا العربيـــــة

وحيث إن عيسى عاش في مطلع حياته عيشة بدوية، لذلك اتسم شعره بكتل موسيقية وبسرعة الإيقاع، وانعكس ذلك على ملكته الشعرية التي مالت نحو الجرس الموسيقي الرنان، فكتب عديداً من الأناشيد وخاصة للثورة، كقصيدته "النصر لنا" على المتدارك المخبون:

صفو المنكـب حـــذو المكـنب
نحيي ذكـــرى يـوم الكبكـب
لـن نـجـــعـها دمعًا يسكـــب
لكـن قدمـــاً يمضي الموكـب
معـنى وســـنا وظهـور مـــنى
والنصـر لـــنا

ويزداد عيسى تقدماً كرائد في فيلق، يدفع جنده نحو النصر، بلغة قوية وموسيقى أقوى، فيقول في قصيدته "تفوقوا" مخاطباً شباب وطنه، أن يمضوا نحو الأمام ليرق الوطن نحو العز والأمان فيقول:

تفوقوا وإلى الأمام تقدمـــــوا وإذا تكاثرت سـدود فـأهـــدموا
سـهـر الـعـلى عـرق دفـــق ودم لا تبخلوا بهما الفداة فتندمـــوا
يبني بكم وطن وينقذ معـــــدم فتفوقوا.. لتعمقوا.. ولتخدمـوا
نصر المؤصل حيث عالج أو وقى

وتأثر عيسى تأثراً كبيراً بمدرسة الشعر الحر، من حيث التجديد الموسيقي، على نظام التفعيلة الموحدة، والتخلي عن القافية، والولوج إلى موضوعات جديدة لم يطرقها الشعر التشادي قبل ذلك، كقصيدته "فم ثامن آب":

تـتـجـمـد منـذ ثـلاث سـنين عـلى الـحـقـد
عـبـرات أسى ليف
نظرات فن وعذاب
يتدفق كل أغسطس في جسمان مشاعر متدفق

وأغسطس أب

فالقصيدة على نظام شعر التفعيلة فعلن، وتدخل في نقد الأوضاع السياسية، التي أحدثت تقلبات وعدم استقرار، ويلاحظ أن الكمية الفكرية تزيد عن الكمية الوجدانية.